

أصل مصطلح الدبلوماسية مشتق من كلمة دبلوم اليونانية، بمعنى يطبق أو يطوى موصوف بها أي كتاب أو مخطوط أو رسالة صادرة عن الملك وموقعة منه ومطوية إلى طيتين بقصد حفظها. وبعدها تطور هذا المفهوم مع الرومان وأصبح يعني الصفائح المعدنية ذات الوجهين المطبقين والمخيطين بإتقان، والتي كانت تمنح لحاملها كرخص مرور على طرقات الامبراطورية، أي الأشخاص المبعوثين المكلفين بمهام أو الأشخاص الوافدين من الخارج كممثلين لملوكهم وأمرائهم ويمنحها الامبراطور أو من ينوب عنه أو حتى صادرة عن مجلس الشيوخ الروماني، وقد استخدم "شيشرون" (106-43 ق.م) كلمة دبلوما بمعنى التوصية الرسمية التي تعطى للأفراد الذين يأتون إلى البلاد الرومانية وكانوا يحملونها معهم ليسمح لهم بالمرور وليكونوا موضع رعاية خاصة.

وقد اتسع هذا المفهوم لاحقاً ليشمل الوثائق الرسمية المحتوية على مخطوطات العلاقات الخارجية للامبراطورية والمحفوظة في أرشيف الجهاز المكلف بالعلاقات الخارجية (أمانة المحفوظات)، وبعد ذلك تطور هذا المفهوم مع البيزنطيين والعباسيين حيث أصبحت الدبلوماسية تعني العلاقات لهذه الدول كما تعني تنفيذها وخاصة السفراء والأجهزة المشرفة عليهم هرمياً حتى رأس الدولة سواء كان البطريرك أم الخليفة أم الملك أم الأمير، أي المرسل والمستقبل بالإضافة لما يصدر باسمهم عن الديوان المكلف بذلك، سواء جواز السفر أو الحصانات والامتيازات التي تمنح للمبعوثين أو الأرشيف الذي يضم الرسائل والوثائق والاتفاقيات الخاصة بالعلاقات الخارجية لرؤساء الدول.

أما الدبلوماسية في اللغة العربية فكان يمثّلها كلمة (كتاب) للتعبير عن الوثيقة التي يتبادلها أصحاب السلطة بينهم والتي تمنح حاملها مزايا الحماية والأمان، وكلمة سفارة تستخدم عند العرب بمعنى الرسالة أي التوجه والانطلاق إلى القوم، بغية التفاوض وتشتق كلمة (سفارة من سفر) أو (أسفر بين القوم إذا أصلح) و(كلمة سفير هو يمشي بين القوم في الصلح أو بين رجلين).

لقد توطد هذا المفهوم مع ولادة أول بعثة دبلوماسية دائمة وتطور مع تطور الدولة القومية، حيث بدأ ولأول مرة، يستخدم مصطلح دبلوماسية وصفة دبلوماسي في نهاية القرن 18 وخاصة مع مؤتمر فيينا لعام 1815 حيث توسع هذا المفهوم ليشمل تسيير العلاقات السياسية ما بين الدول وإدارتها وكل ما يتعلق بها. ومن ثم استقر هذا المفهوم في القرن الماضي وصدرته أوروبا الاستعمارية إلى باقي أنحاء المعمورة مع تصديرها لنموذج الدولة ذات السيادة وأصبح عرفاً دولياً مستخدماً أو ممارساً من جميع الأشخاص المكونة لهذا المجتمع الدولي وعلى وجه الخصوص الدول حيث أنه عندما يتكلم اليوم عن الدبلوماسية فإنها تعني تنفيذ العلاقات الخارجية ما بين الدول وعندما يتكلم عن الدبلوماسي فإنه يعني ممثل الدولة الدائم (السفير) لدى دولة أخرى أو مساعديه الذين يحملون الصفة نفسها. وعموماً نجد توسع مفهوم الدبلوماسية فيما بعد وأصبحت تستعمل في عدة معان: معنى المهنة. معنى المفاوضات. معنى الدهاء والكياسة. معنى السياسة الخارجية.

وفي وقتنا الحالي لم تعد الدبلوماسية تقتصر على معنى محدد حيث اتسعت مجالات استخدامها فأصبحت تستعمل في عدة معاني منها فن إدارة التفاوض أو المفاوضات أو فن المجاملة، فظهرت العديد من الدبلوماسيات مثل دبلوماسية الحرب الباردة ودبلوماسية الأزمات ودبلوماسية الأسلحة النووية ودبلوماسية ما بعد الحرب الباردة وغيرها.

ثانياً/ تعريف الدبلوماسية: توجد عديد التعريفات التي حاولت تحديد معنى الدبلوماسية، حيث وردت العديد من التعريفات لمفكرين غرب وعرب، سنحاول التطرق إلى بعضها كما يلي:

عرف أرنست ساتو Satow الدبلوماسية بأنها «استعمال الذكاء والكياسة في إدارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة». في حين عرفها شارل دي مارتيس بأنها «علم العلاقات الخارجية أو الشؤون الخارجية للدول، وبمعنى أدق هي علم وفن المفاوضات». وهو تقريبا ما ذهب إليه المفكر ريفيه في تعريفه للدبلوماسية باعتبارها «علم وفن تمثيل الدول والمفاوضة». أما تعريف شارل كالفو للدبلوماسية فهي: «علم العلاقات القائمة بين مختلف الدول والناجمة عن المصالح المتبادلة وعن مبادئ القانون الدولي العام ونصوص المعاهدات والاتفاقيات». كما نجد تعريف فيليب كاييه: «الدبلوماسية هي الوسيلة التي يتبعها أحد أشخاص القانون الدولي لتسيير الشؤون الخارجية بالوسائل السلمية وخاصة من خلال المفاوضات». أما كيسنجر فعرفها: «الدبلوماسية هي تكييف الاختلافات من خلال المفاوضات». وأخيرا تعريف معجم OXFORD: «الدبلوماسية هي: أولا علم رعاية العلاقات الدولية بواسطة المفاوضات، ثانيا الطريقة التي يتبعها السفراء والممثلون الدبلوماسيون في تحقيق هذه الرعاية».

2- الدبلوماسية عند المفكرين العرب:

عرفها معاوية بن أبي سفيان بقوله: «لو أن بيني وبين الناس شعرة لما قطعتها، إذا أرخوا شددتها وإن شدوها أرخيتها». كما نجد تعريف الدكتور سموحي فوق العادة الذي عرفها كما يلي: الدبلوماسية هي مجموعة القواعد والأعراف والمبادئ الدولية التي تهتم بتنظيم العلاقات القائمة بين الدول والمنظمات الدولية والأصول الواجب اتباعها في تطبيق أحكام القانون الدولي، والتوفيق بين مصالح الدول المتباعدة وفن إجراء المفاوضات والاجتماعات والمؤتمرات الدولية وعقد الاتفاقيات والمعاهدات». وعرفها الدكتور عدنان البكري بأنها «عملية سياسية تستخدمها الدولة في تنفيذ سياستها الخارجية في تعاملها مع الدول والأشخاص الدوليين الآخرين وإدارة علاقاتها الرسمية بعضها مع بعض ضمن النظام الدولي»، وهو بهذا المعنى يرى أن الدبلوماسية تشمل تعاملات الدولة مع الدول الأخرى والفاعلين الدوليين من غير الدول. أما مأمون الحموي فقد عرفها «ممارسة عملية لتسيير شؤون الدولة الخارجية وهي علم وفن، علم ما تتطلبه من دراسة عميقة للعلاقات القائمة بين الدول ومصالحها المتبادلة ومنطوق تواريخها ومواثيق معاهدتها من الوثائق الدولية، في الماضي والحاضر وهي فن لأنه يرتكز على مواهب خاصة عمادها اللباقة والفراسة وقوة الملاحظة" وهي عنده ممارسة قبل أن تكون مواثيق ومعاهدات ومواهب».

من خلال هذه التعريفات نلاحظ من جهة أن الغالبية العظمى منها تشير إلى أن الدبلوماسية هي علم وفن وأنه لا قيمة للعلم في الممارسة الدبلوماسية ما لم يرافقه الفن والمواهب والابداع لدى الدبلوماسي. ومن جهة أخرى وبالنظر إلى تعدد فواعل المجتمع الدولي الذي لم يعد مقتصرًا على الدولة وحدها باعتبارها الفاعل الرئيسي في العلاقات الدولية فقد أصبحت الدبلوماسية تشمل الفواعل الأخرى من غير الدول وعليه يمكننا طرح توجيهين لمفهوم الدبلوماسية وتطورها كما يلي:

• التعريف الأول: الدبلوماسية هي أداة تنظيم وتسيير الشؤون الخارجية للدول بما يتماشى مع مصالحها الوطنية. نلاحظ أن هذا التعريف يتماشى مع المفهوم التقليدي والشائع بارتباط الدبلوماسية بالدولة، كما أن هذا التعريف جاء من منطلق أن جميع الدول ما زالت تسمى وزاراتها المكلفة بالعلاقات الخارجية بوزارة الشؤون الخارجية.

• التعريف الثاني: الدبلوماسية هي أداة وأسلوب تسيير وتنظيم العلاقات الدولية لأشخاص المجتمع الدولي لدى بعضهم البعض. هذا المفهوم يتماشى مع المفهوم العام والحالي لماهية المجتمع الدولي وأشخاصه، أي مع الواقع الدولي حاليا.

من خلال ما سبق يمكن تقديم تعريف شامل للدبلوماسية يشمل العديد من الأوجه فهي «علم وفن وهي استعمال الذكاء والكياسة وهي مجموعة من القواعد التي تنشأ عن مصالح الدول المتبادلة ومبادئ القانون الدولي، ونصوص المعاهدات والاتفاقيات وهي إدارة للعلاقات وهي الممارسة العملية لتسيير شؤون الدولة الخارجية، وهي الأدوات والطريقة والمؤسسات والحرفة».

ثالثا/ خصائص الدبلوماسية الحديثة: هناك مجموعة خصائص أساسية تميزت بها الدبلوماسية الحديثة نوجزها فيما يلي:

1- **دبلوماسية علنية:** من أهم السمات البارزة في الدبلوماسية الحديثة هي أنها دبلوماسية علنية بعد أن كانت دبلوماسية سرية فالدبلوماسية العلنية أصبحت وسيلة لبناء عالم يسوده الاستقرار والأمن والسلم بعيدا عن المعاهدات السرية التي كانت سببا في الحروب والنزاعات، وبالتالي فالدبلوماسية العلنية تمثل الصورة المتطورة للدبلوماسية وجاءت استجابة لإرادة الشعوب في ظل الأنظمة الديمقراطية التي تجعل من الحكومات مسؤولة أمامها في كل تصرفاتها باعتبارها صاحبة القرار النهائي.

2- **دبلوماسية جماعية:** أصبحت الدبلوماسية تتم بين مجموعة من الدول سواء من خلال المؤتمرات الدولية أو ضمن المنظمات الدولية على عكس الدبلوماسية التقليدية التي كانت ثنائية فقط (المفاوضات تجري بين طرفين لمناقشة علاقاتهما فقط) وتأثيرها ضعيف على الساحة الدولية، بخلاف الدبلوماسية الجماعية التي تناقش قضايا عالمية متنوعة مثلما هو حاصل في منظمة الأمم المتحدة وأجهزتها التي تتعدّد باستمرار وبصفة دائمة لمناقشة القضايا السياسية والأمنية والبيئية والاقتصادية وغيرها، كما أن هذه الدبلوماسية الجماعية أو ما يسمى بدبلوماسية المؤتمرات تختلف عن دبلوماسية المؤتمرات القديمة التي كانت ضيقة في أعدادها وموضوعاتها أين أصبحت أداة فعالة لمعالجة المشكلات والتحديات العالمية المختلفة وتحسم الكثير من القضايا في وقت أقصر وبأساليب أسهل من أساليب الدبلوماسية التقليدية ومن أمثلتها المؤتمر الدولي الذي أسفر عنه اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية عام 1961 وغيرها من المؤتمرات التي عالجت قضايا متنوعة وأسفرت عن معاهدات.

3- **دبلوماسية القمة:** هو نمط جديد من الدبلوماسية جاء به العصر الحديث وهو ما يعرف بدبلوماسية الرؤساء خلافا لدبلوماسية الممثلين والمبعوثين والسفراء وتسمى أيضا الدبلوماسية السياسية فهناك خلاف بين الممارسة الدبلوماسية التي يمارسها الرجل الدبلوماسي (الدبلوماسي المحترف) وبين الدبلوماسية التي يمارسها رجل السياسة (رئيس الدولة، رئيس الوزراء..) فالأول يمارسها كمنفذ فقط أما الثاني فيمارسها كمخطط إلى جانب التنفيذ في آن واحد، كما يمتاز هذا النوع من الدبلوماسية بكون القادة والرؤساء يملكون حرية أكبر من الدبلوماسيين الاعتياديين في اتخاذ القرارات، كما تعالج إشكالات وتحل عقد وأزمات لم يتمكن الدبلوماسيين العاديين من تجاوزها.

4- **دبلوماسية شعبية:** تشكل الدبلوماسية الشعبية سمة بارزة من سمات الدبلوماسية الحديثة فهي صورة من صور تطور الدبلوماسية الحديثة فقد تحولت من دبلوماسية الطبقة الحاكمة إلى دبلوماسية الشعب كونها تخاطب الشعوب والرأي العام مباشرة وتسعى لكسبه وتأييده وتمارس من طرف أبناء الشعب عامة عن طريق وسائل الاتصال والتواصل الحديثة وبالتالي فالدبلوماسية الشعبية لا يمكنها النجاح إلا بدبلوماسيين شعبيين من عموم الشعب بمختلف تنظيماته الشعبية وال جماهيرية.

5- **دبلوماسية شاملة:** لم تعد الدبلوماسية مقتصرة على القضايا السياسية فقط وإنما أصبحت متنوعة ومعقدة لدرجة تخطت المواضيع السياسية لتشمل القضايا التجارية والثقافية والصحية والعسكرية والاقتصادية وغيرها، ومختصين كل في مجاله، لذلك أصبح هناك داخل السفارات ملحق عسكري يشغله خبير عسكري، وثقافي رجل مثقف، وتجاري اقتصادي خبير اقتصادي وغيرها، وأصبحت مسؤوليات رؤساء البعثات لا تقتصر على الشؤون السياسية فقط بل الإشراف على الشؤون الأخرى التي يتولاها مساعدوه، بل أصبحت القضايا الاقتصادية والتجارية وجلب الاستثمارات والتصدير وغيرها في صلب الاهتمامات والأولويات.

الأعمال الموجهة

- 1- ماهية الدبلوماسية (المفهوم، الخصائص، علاقة الدبلوماسية بالمفاهيم الأخرى -القانون الدبلوماسي، السياسة الخارجية، القانون الدولي-).
- التطور التاريخي للدبلوماسية. (حسب العصور:
- أولا/ في العصور القديمة/ 1- الدبلوماسية في المجتمعات البدائية. 2- الدبلوماسية في الشرق القديم. 3-الدبلوماسية في أوروبا القديمة. (أ- الدبلوماسية عند اليونان -الإغريق- ب- الدبلوماسية عند الرومان).
- ثانيا/ الدبلوماسية في العصر الوسيط. 1- الدبلوماسية الأوروبية في العصر الوسيط. 2- الدبلوماسية العربية الإسلامية
- ثالثا/ الدبلوماسية في العصر الحديث/ 1- من القرن 15 إلى مؤتمر فيينا 1815: الدبلوماسية الدائمة والدبلوماسية السرية.
- 2- من مؤتمر فيينا 1815 حتى الحرب العالمية الأولى: استمرار الدبلوماسية السرية وتغير مفاهيم التمثيل الدبلوماسي. 3- من الحرب العالمية الأولى حتى الوقت الحاضر: الدبلوماسية العلنية، دبلوماسية القمة، الدبلوماسية المتخصصة.
- 2- أنماط الدبلوماسية (دبلوماسية القمة. الدبلوماسية المتعددة الأطراف، الدبلوماسية الشعبية. الدبلوماسية الوقائية).
- نتطرق إلى مفهومها وبماذا تمتاز وما هي الظروف التي ساعدت أو أدت إلى بروزها وتطورها.
- 3- الحصانات والامتيازات الدبلوماسية (اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية 1961)
- 4- المفاوضات كأداة للدبلوماسية (المفهوم العناصر استراتيجيات التفاوض، العوامل المؤثرة على العملية التفاوضية)
- 5- الدبلوماسية وحل النزاعات الدولية (الطرق السلمية والدبلوماسية: الوساطة، المساعي الحميدة، التوفيق، التحقيق)
- 6- الدبلوماسية وبناء السلم الدولي
- 7- التحولات الدولية الجديدة واثرها على الدبلوماسية.